

[ولا زائدة] وإنما أتى بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها، ولكثرة الإتيان بها مع اليمين، لا يستغرب الاستفتاح بها، وإن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح.

فالمقسم به في هذا الموضع، هو المقسم عليه، وهو البعث بعد الموت، وقيام الناس من قبورهم، ثم وقوفهم ينتظرون ما يحكم به الرب عليهم، ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ وهي جميع النفوس الخيرة والفاجرة، سُميت «اللوامة» لكثرة ترددها وتلومها، وعدم ثبوتها على حالة من أحوالها، ولأنها عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت^(١)، بل نفس المؤمن تلوم صاحبها في الدنيا على ما حصل منه، من تفريط أو تقصير في حق من الحقوق، أو غفلة، فجمع بين الإقسام بالجزاء، وعلى الجزاء، وبين مستحق الجزاء.

ثم أخبر مع هذا، أن بعض المعاندين يكذب بيوم القيامة، فقال: ﴿أحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه﴾ بعد الموت، كما قال في الآية الأخرى: ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾؟ فاستبعد من جهله وعدوانه قدرة الله على خلق عظامه التي هي عماد البدن، فرد عليه بقوله: ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ أي: أطراف أصابعه وعظامه، المستلزم ذلك لخلق جميع أجزاء البدن، لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد، وليس إنكاره لقدرة الله تعالى قصوراً بالدليل الدال على ذلك، وإنما [وقع] ذلك منه أن قصده وإرادته أن يكذب^(٢) بما أمامه من البعث. والفجور: الكذب مع التعمد.

جاءت الآيات البيّنات التي تبين الحق وتوضحه، فلو كان فيهم خير لآمنوا، ولهذا قال: ﴿كلا﴾ أن نعطيهم ما طلبوا، وهم ما قصدوا بذلك إلا التعجيز، ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ فلو كانوا يخافونها، لما جرى منهم ما جرى.

﴿كلا إنه تذكرة﴾ الضمير إما أن يعود على هذه السورة، أو على ما اشتملت عليه [من] هذه الموعظة، ﴿فمن شاء ذكره﴾ لأنه قد بين له السبيل، ووضح له الدليل.

﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ فإن مشيئته^(٣) نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها رد على القدرية، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبورية، الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة، ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلاً، وجعل ذلك تابعاً لمشيئته، ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ أي: هو أهل أن يتقوا ويعبدوا، لأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأهل أن يغفر لمن اتقاه واتبع رضاه.

تم تفسير سورة المدثر،
ولله الحمد^(٤)

تفسير سورة القيامة [وهي] مكية

﴿١-٦﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بيوم القيامة﴾ ولا أقسم بالنفس اللوامة * أحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه * بل قادرين على أن نسوي بنانه * بل يريد الإنسان ليفجر أمامه * يسأل أيان يوم القيامة * ليست [لا] [ها] هنا نافية،

المصلين * ولم نك نطعم المسكين﴾ فلا إخلاص للمعبود، [ولا إحسان] ولا نفع للخلق المحتاجين.

﴿وكننا نخوض مع الخائضين﴾ أي: نخوض بالباطل، ونجادل به الحق، ﴿وكننا نكذب بيوم الدين﴾ هذا آثار الخوض بالباطل، [وهو] التكذيب بالحق، ومن أحق الحق، يوم الدين، الذي هو محل الجزاء على الأعمال، وظهور ملك الله وحكمه العدل لسائر الخلق.

فاستمرينا على هذا المذهب الفاسد^(١) ﴿حتى أتانا اليقين﴾ أي: الموت، فلما ماتوا على الكفر تعذرت حيثئذ عليهم الحيل، وانسد في وجوههم باب الأمل، ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ لأنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهؤلاء لا يرضى الله أعمالهم^(٢).

فلما بين الله مآل المخالفين، ورهب عما^(٣) يفعل بهم، عطف على الموجودين بالعتاب واللوم، فقال: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ أي: صادين غافلين عنها.

﴿كأنهم﴾ في نفرتهم الشديدة منها ﴿حمرّ مستفزة﴾ أي: كأنهم حمر وحش نفرت فنفر بعضها بعضاً، فزاد عدوها، ﴿فرت من قسورة﴾ أي: من صائد وزام يريدوها، أو من أسد ونحوه، وهذا من أعظم ما يكون من النفور عن الحق، ومع هذا الإعراض وهذا النفور، يدعو الدعوى الكبار. ف ﴿يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منسرة﴾ نازلة عليه من السماء، يزعم أنه لا يتقاد للحق إلا بذلك، وقد كذبوا، فإنهم لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، فإنهم

(١) في ب: الباطل.

(٢) كذا في ب، وفي أ: ولا يرضى أعمالهم.

(٣) في ب: وبين ما يفعل بهم.

(٤) في ب: فإن مشيئة الله.

(٥) في ب: تمت والله الحمد والمنة.

(٦) في ب: على ما فعلت.

(٧) في ب: لأن إرادته وقصده التكذيب.

ثم ذكر أحوال القيامة فقال :

﴿٧-١٥﴾ **﴿فإذا برق البصر ***

وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر * يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر * ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الإنسان على نفسه بصيره * ولو ألقى معاذيره .

أي : إذا كانت القيامة برقت الأبصار من الهول العظيم ، وشخصت فلا تطرف كما قال تعالى : ﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ و«خسف القمر» أي : ذهب نوره وسلطانه ، «وجمع الشمس والقمر» وهما لم يجتمعا منذ خلقهما الله تعالى ، فيجمع الله بينهما يوم القيامة ، ويخسف القمر ، وتكور الشمس ، ثم يقذفان في النار ، ليرى العباد أنهما عبدان مسخران ، وليرى من عبدهما أنهم كانوا كاذبين .

﴿يقول الإنسان﴾ حين يرى تلك القلائل المزعجات : «أين المفر؟» أي : أين الخلاص والفرار مما طرقتنا وأصابنا^(١)؟

﴿كلا لا وزر﴾ أي : لا ملجأ لأحد دون الله ، ﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾ لسائر العباد ، فليس في إمكان أحد أن يستتر أو يهرب عن ذلك الموضع ، بل لا بد من إيقافه ليجزى بعمله ، ولهذا قال : «ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر» أي : بجميع عمله الحسن والسيئ ، في أول وقته وأخره ، وينبأ بخبر لا ينكره ، ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ أي : شاهداً ومحاسباً ، ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ فإنها معاذير لا تقبل ، ولا تقابل ما يقرر به العبد^(٢) ، فيقرر به ، كما قال تعالى :

﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيياً﴾ .

فالعبد وإن أنكر ، أو اعتذر عما عمله ، فإنكاره واعتذاره لا يفيدانه شيئاً ، لأنه يشهد عليه سمعه وبصره وجميع جوارحه بما كان يعمل ، ولأن استغتابه قد ذهب وقته وزال نفعه : ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾ .

﴿١٦-١٩﴾ **﴿لا تحرك به لسانك**

لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه﴾ كان النبي ﷺ إذا جاءه جبريل بالوحي ، وشرع في تلاوته عليه ، بادره النبي ﷺ من الحرص قبل أن يفرغ ، وتلاه مع تلاوة جبريل إياه ، فنهاه الله عن هذا ، وقال : ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه﴾ .

وقال هنا : ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ ثم ضمن له تعالى أنه لا بد أن يحفظه ويقراه ، ويجمعه الله في صدره ، فقال : «إن علينا جمعه وقرآنه» فالحرص الذي في خاطرك ، إنما الداعي له حذر الفوات والنسيان ، فإذا ضمنه الله لك ، فلا موجب لذلك .

﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ أي : إذا كمل جبريل قراءة ما أوحى الله^(٣) إليك ، فحينئذ اتبع ما قرأه وأقرأه .

﴿ثم إن علينا بيانه﴾ أي : بيان معانيه ، فوعده بحفظ لفظه وحفظ معانيه ، وهذا أعلى ما يكون ، فامتثل ﷺ لأدب ربه ، فكان إذا تلا عليه جبريل القرآن بعد هذا ، أنصت له ، فإذا فرغ قرأه .

وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم ، أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من^(٤) المسألة التي شرع فيها ، فإذا فرغ منها سأله عما أشكل عليه ، وكذلك إذا

كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان ، أن لا يبادر برده أو قبوله ، حتى يفرغ من ذلك الكلام ، ليتبين ما فيه من حق أو باطل ، وليفهمه فهماً يتمكن به من الكلام عليه .

وفيها : أن النبي ﷺ كما بين للأمة ألفاظ الوحي ، فإنه قد بين لهم معانيه .

﴿٢٠-٢٥﴾ **﴿كلا بل تحبون**

العاجلة * وتذرون الآخرة * وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة * ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة﴾ أي : هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم «تحبون العاجلة» وتسعون فيما يحصلها ، وفي لذاتها وشهواتها ، وتؤثرونها على الآخرة ، فتذرون العمل لها ، لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة ، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم ، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها ، كأنكم لم تخلقوا لها ، وكان هذه الدار هي دار القرار ، التي تبتذل فيها نفائس الأعمار ، ويسعى لها آتاء الليل والنهار ، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة ، وحصل من الخسار ما حصل .

فلو آثرتم الآخرة على الدنيا ، ونظرتهم للعواقب نظر البصير العاقل لأنجحتهم ، وربحتهم ربحاً لا خسارة معه ، وفترتم فوزاً لا شقاء يصحبه .

ثم ذكر ما يدعو إلى إشار الآخرة ، ببيان حال أهلها وتفاوتهم فيها ، فقال في جزاء المؤثرين للآخرة على الدنيا : «وجوه يومئذ ناضرة» أي : حسنة بهية ، لها رونق ونور ، مما هم فيه من نعيم القلوب ، وبهجة النفوس ، ولذة الأرواح ، ﴿إلى ربها ناظرة﴾ أي : تنظر إلى ربها^(٥) على حسب مراتبهم : منهم

(١) في ب : والفكك مما طرقتنا وألم بنا .

(٢) في ب : بل يقرر بعمله .

(٣) في ب : إذا أكمل جبريل ما يوحى إليك .

(٤) في ب : أن لا يبادر المتعلم للمعلم قبل أن يفرغ المعلم .

(٥) في ب : أي ينظرون إلى ربهم .

خلق الإنسان هذه [وطوره إلى] الأطوار المختلفة ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾ بل إنه على كل شيء قدير .

تم تفسير سورة القيامة، والله الحمد والمنة، وذلك في ١٦ صفر سنة ١٣٤٤^(٧).

المجلد التاسع من تفسير الكريم الرحمن هي تفسير القرآن لعامة الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين.

تفسير سورة هل أتى على الإنسان وهي مكية

﴿١-٣﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً * إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً * إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ ذكر الله في هذه السورة الكريمة أول حالة الإنسان ومبتدأها ومتوسطها ومنتهاها .

فذكر أنه مر عليه دهرٌ طويل، وهو الذي قبل وجوده، وهو معدوم بل ليس مذكوراً .

ثم لما أراد الله تعالى خلقه، خلق [آباه] آدم من طين، ثم جعل نسله متسلسلاً ﴿من نطفة أمشاج﴾ أي: ماء مهين مستقذر ﴿نبتليه﴾ بذلك، لتعلم هل يرى حاله الأولى، ويتفطن لها أم ينساها وتغره نفسه؟

فأنشأه الله، وخلق له القوى الباطنة والظاهرة، كالسمع والبصر، وسائر الأعضاء، فأنمها له وجعلها سالمة يتمكن بها من تحصيل مقاصده .

ثم أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وهده الطريق الموصلة

ولكن القضاء والقدر، إذا حتم وجاء فلا مرد له، ﴿وظن أنه الفراق﴾ للذنيا .

﴿والتفت الساق بالساق﴾ أي: اجتمعت الشدائد والتفت، وعظم الأمر وصعب الكرب، وأريد أن تخرج الروح التي ألفت البدن^(٤) ولم تنزل معه، فتساق إلى الله تعالى، حتى يجازيها بأعمالها، ويقررها بفعالها .

فهذا الزجر، [الذي ذكره الله] يسوق القلوب إلى ما فيه نجاتها، ويزجرها عما فيه هلاكها .

ولكن المعاند الذي^(٥) لا تنفع فيه الآيات، لا يزال مستمراً على بغيه وكفره وعناده .

﴿فلا صدق﴾ أي: لا آمن بالله وملانكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ﴿ولا صلي﴾ ولكن كذب بالحق في مقابلة التصديق، ﴿وتولى﴾ عن الأمر والنهي، هذا وهو مطمئن قلبه، غير خائف من ربه، بل يذهب ﴿إلى أهله يتمطى﴾ أي: ليس على باله شيء، ترعده بقوله: ﴿أولى لك فأولى﴾ ثم أولى لك فأولى﴾ وهذه كلمات وعيد، كررها لتكرير وعيده، ثم ذكر الإنسان بخلقه الأول، فقال: ﴿أحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ أي: معطلاً^(٦)، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يُشأب ولا يُعاقب؟ هذا حسابان باطل، وظن بالله بغير ما يليق بحكمته .

﴿ألم يك نطفة من مني يمنى﴾ ثم كان بعد المنى ﴿علقة﴾ أي: دمًا، ﴿فخلق﴾ الله منها الحيوان وسواه أي: أتقنه وأحكمه، ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ أليس ذلك الذي

من ينظره كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثل شيء، فإذا رآه نسوا ما هم فيه من النعيم، وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم، وازدادوا جمالاً إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم .

وقال في المؤثرين العاجلة على الآجلة: ﴿وجوه يومئذ باسرة﴾ أي: معبسة ومكدرة^(١)، خاشعة ذليلة ﴿تظن أن يفعل بها فاقرة﴾ أي: عقوبة شديدة، وعذاب أليم، فلذلك تغيرت وجوههم وعيست .

﴿٢٦-٤٠﴾ ﴿كلا إذا بلغت التراقي * وقيل من راق * وظن أنه الفراق * والتفت الساق بالساق * إلى ربك يومئذ المساق * فلا صدق ولا صلي * ولكن كذب وتولى * ثم ذهب إلى أهله يتمطى * أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى * أحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ يعظ تعالى عباده، بذكر حال المحتضر عند السياق^(٢)، وأنه إذا بلغت روحه التراقي، وهي العظام المكتنفة لشفرة النحر، فحينئذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة، ولهذا قال: ﴿وقيل من راق﴾ أي: من يرقبه، من الرقية، لأنهم انقطعتم آمالهم من الأسباب العادية، فلم يبق إلا الأسباب الإلهية^(٣) .

(١) في ب: كدرة .

(٢) في ب: بذكر المحتضر حال السياق .

(٣) في ب: فتعلقوا بالأسباب الإلهية .

(٤) في ب: أن تخرج الروح من البدن الذي ألقته .

(٥) كذا في ب، وفي أ: التي .

(٦) في ب: أي مهملاً .

(٧) في ب: والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم .

إلى الله^(١)، ورغبه فيها، وأخبره بما له عند الوصول إلى الله .

ثم أخبره بالطريق الموصلة إلى الهلاك، ورهبه منها، وأخبره بما له إذا سلكها، وابتلاء بذلك، فانقسم الناس إلى شاكر لنعمة الله عليه، قائم بما حمله الله من حقوقه، وإلى كفور لنعمة الله عليه، أنعم الله عليه بالنعمة الدنيوية والدنيوية، فردها، وكفر بربه، وسلك الطريق الموصلة إلى الهلاك .

ثم ذكر تعالى حال الفريقين عند الجزاء فقال :

﴿٤- ٢٢﴾ **﴿إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً * إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً﴾** إلى آخر الثواب أي : إنا هيأنا وأرصدنا لمن كفر بالله، وكذب رسله، وتجراً على المعاصي **﴿سلاسل﴾** في نار جهنم، كما قال تعالى : **﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾** .

﴿وأغلالاً﴾ تغل بها أيديهم إلى أعناقهم ويوثقون بها .

﴿وسعيراً﴾ أي : ناراً تستعر بها أجسامهم، وتغرق بها أبدانهم، **﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها، ليدوقوا العذاب﴾** وهذا العذاب دائم لهم أبداً، مخلدون فيه سرمداً .

وأما **﴿الأبرار﴾** وهم الذين برت قلوبهم بما فيها من محبة الله ومعرفته، والأخلاق الجميلة، فبرت جوارحهم^(٢)، واستعملوها بأعمال البر، أخبر أنهم **﴿يشربون من كأس﴾** أي : شراب لذيذ من خمر قد مزج بكافور أي : خلط بكافور، ليبرده ويكسر حدة، وهذا الكافور (في غاية اللذة)، قد سلم من كل مكدر ومنغص، موجود في كافور الدنيا،

فإن الآفة الموجودة في الأسماء التي ذكر الله أنها في الجنة وهي في الدنيا تعدم في الآخرة^(٣) .

كما قال تعالى : **﴿في سدر مخضود * وطلع منضود﴾** **﴿وأزواج مطهرة﴾** **﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾** وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين .

﴿عينا يشرب بها عباد الله﴾ أي : ذلك الكأس اللذيذ الذي يشربون به، لا يخافون نفاذه، بل له مادة لا تنقطع، وهي عين دائمة الفيضان والجريان، يفجرها عباد الله تفجيراً، أنى شأوا، وكيف أرادوا، فإن شأوا صرفوها إلى البساتين الزاهرات، أو إلى الرياض الناضرات، أو بين جوانب القصور والمسكن المزخرفات، أو إلى أي : جهة يرونها من الجهات الموقفات .

وقد ذكر^(٤) جملة من أعمالهم في أول هذه السورة، فقال : **﴿يوفون**

﴿بالنذر﴾ أي : بما ألزموا به أنفسهم الله من النذور والمعاهدات، وإذا كانوا يوفون بالنذر، وهو لم يجب^(٥) عليهم، إلا بما يجاهمهم على أنفسهم، كان فعلهم وقيامهم بالفروض الأصلية، من باب أولى وأحرى، **﴿ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾** أي : منتشرأفاشياً، فخافوا أن ينالهم شره، فتركوا كل سبب موجب لذلك، **﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾** أي : وهم في حال يحبون فيها المال والطعام، لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم، ويتحرون في إطعامهم أولى الناس وأحوجهم، **﴿مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾** .

ويقصدون بإنفاقهم وإطعامهم وجهه الله تعالى، ويقولون بلسان الحال : **﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾** أي :

لا جزاء مالياً، ولا ثناء قولياً .
﴿إننا نخاف من ربنا يوماً عبوساً﴾ أي : شديد الجهمة والشر **﴿قمطيراً﴾** أي : ضنكاً ضيقاً، **﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾** فلا يجزئهم الفرع الأكبر، وتلقاهم الملائكة [هذا يومكم الذي كتتم توعدون] .

﴿ولقاهم﴾ أي : أكرمهم وأعطاهم **﴿نضرة﴾** في وجوههم **﴿وسروراً﴾** في قلوبهم، فجمع لهم بين نعيم الظاهر والباطن، **﴿وجزاهم بما صبروا﴾** على طاعة الله، فعملوا ما أمكنهم منها، وعن معاصي الله، فتركوها، وعلى أقدار الله المؤلمة، فلم يتسخطوها، **﴿جنة﴾** جامعة لكل نعيم، سالمة من كل مكدر ومنغص، **﴿وحريراً﴾** كما قال [تعالى :] **﴿ولباسهم فيها حريراً﴾** ولعل الله إنما خص الحرير، لأنه لباسهم الظاهر، الدال على حال صاحبه .

﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ الاتكاء : التمكن من الجلوس، في حال الرفاهية والطمأنينة [الراحة]، والأرائك هي السرر التي عليها اللباس المزين، **﴿لا يرون فيها﴾** أي : في الجنة **﴿شمساً﴾** يضرهم حرها، **﴿ولا زمهراً﴾** أي : برداً شديداً، بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل، لا حر ولا برد، بحيث تلتذ به الأجساد، ولا تتألم من حر ولا برد .

﴿ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً﴾ أي : قربت ثمراتها من مريدها تقريباً ينالها، وهو قائم، أو قاعد، أو مضطجع .

ويطاف على أهل الجنة أي : يدور [عليهم] الخدم والولدان^(٦) **﴿بآنية من فضة﴾** وأكواب كانت قواريرا * قوارير من فضة **﴿أي : مادتها من فضة،**

(١) في ب : الطريق الموصلة إليه وبينها .

(٢) في ب : أعمالهم .

(٣) في ب : الموجودة في الدنيا تعدم من الأسماء التي ذكرها الله في الجنة .

(٤) في ب : ثم ذكر .

(٥) في ب : الذي هو غير واجب .

(٦) في ب : **﴿ويطاف عليهم﴾** أي : يدور الولدان والخدم على أهل الجنة .



[وهي] على صفاء القوارير، وهذا من أعجب الأشياء، أن تكون الفضة الكثيفة، من صفاء جوهرها، وطيب معدنها، على صفاء القوارير.

﴿قدروها تقديراً﴾ أي: قدروا الأواني المذكورة على قدر ربهم، لا تزيد ولا تنقص، لأنها لو زادت نقصت لذتها، ولو نقصت لم تف برهم^(١).

ويحتمل أن المراد: قدرها أهل الجنة بنفسهم بمقدار يوافق لذتهم، فأتهم على ما قدروا في خواطرهم، ﴿ويسقون فيها﴾ أي: في الجنة، من كأس، وهو الإناء المملوء من خمر ورحيق، ﴿كان مزاجها﴾ أي: خلطها ﴿زنجبيلاً﴾ ليطيب طعمه ويريح.

﴿عينا فيها﴾ أي: في الجنة، ﴿تسمى سلسبيلاً﴾ سميت بذلك لسلاستها ولذتها وحسنها.

﴿ويطوف﴾ على أهل الجنة، في طعامهم وشرابهم وخدمتهم.

﴿ولدان مخلدون﴾ أي: خلقوا من الجنة للبقاء، لا يتغيرون ولا يكبرون، وهم في غاية الحسن، ﴿إذا رأيتهم﴾ منتثرين في خدمتهم ﴿حسبهم﴾ من حسنهم ﴿لؤلؤا منشورا﴾ وهذا من تمام لذة أهل الجنة، أن يكون خدامهم الولدان المخلدون، الذين تسر رؤيتهم، ويدخلون على مساكنهم، آمنين من تبعتهم، ويأتونهم بما يدعون وتطلبه نفوسهم، ﴿وإذا رأيتم﴾ أي: هناك في الجنة، ورمقت ما هم فيه من النعيم^(٢). ﴿رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾ فتجد الواحد منهم، عنده من القصور والمساكن والغرف المزيّنة المزخرقة، ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار

(١) في ب: لم تكفهم لربهم.

(٢) في ب: أي رمقت ما أهل الجنة عليه من النعيم الكامل.

(٣) في ب: برضا.

(٤) في ب: ما غلظ الحرير.

(٥) في ب: لا بد أن تكون معصية الله لأنهم لا يأمرن.

(٦) في ب: يستمد من القيام بطاعة الله.

حصره.

وقوله تعال لما ذكر نعيم الجنة ﴿إننا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ فيه الوعد والوعيد، وبيان كل ما يحتاجه العباد، وفيه الأمر بالقيام بأوامره وشرائعه أتم القيام، والسعي في تنفيذها، والصبر على ذلك.

ولهذا قال: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم أثماً أو كفوراً﴾ أي: اصبر لحكمه القدي، فلا تسخطه، ولحكمه الديني، فامض عليه، ولا يعوقك عنه عائق.

﴿ولا تطع﴾ من المعاندين، الذين يريدون أن يصدوك ﴿أثماً﴾ أي: فاعلاً إثمياً ومعصية ولا ﴿كفوراً﴾ فإن طاعة الكفار والفجار والفاسق، لا بد أن تكون في المعاصي، فلا يأمرن^(٥) إلا بما تنهوا أنفسهم.

ولما كان الصبر يساعده القيام بعبادة الله^(٦)، والإكثار من ذكره، أمره الله بذلك، فقال: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً﴾ أي: أول النهار وآخره، فدخل في ذلك، الصلوات

الجارية، والرياض المعجبة، والطيور المطربة [المشجية]، ما يأخذ بالقلوب، ويرفح النفوس.

وعنده من الزوجات، اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سروراً، ولذة وحبوراً، وحولته من الولدان المخلدين، والخدم المؤيدين، ما به تحصل الراحة والطمأنينة، وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة.

ثم علاوة ذلك ومعظمه، الفوز برؤية^(٣) الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان الملك المالك، الحق المبين، الذي لا تنفد خزائنه، ولا يقل خيره، فكما لا نهاية لأوصافه، فلا نهاية لبره وإحسانه، ﴿عليهم ثياب سندس خضر﴾ أي: قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس: ما غلظ من الديداج^(٤)، والأستبرق: ما رق منه.

﴿وحلوا أساور من فضة﴾ أي: حلوا في أيديهم أساور الفضة، ذكورهم وإنائهم، وهذا وعد وعدهم الله، وكان وعده مفعولاً، لأنه لا أصدق منه قيلاً ولا حديثاً.

وقوله: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ أي: لا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهراً لما في بطونهم من كل أذى وقذى.

﴿إن هذا﴾ الجزاء الجزيل والعتاء الجميل ﴿كان لكم جزاء﴾ على ما أسلفتموه من الأعمال، ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾ أي: القليل منه، يجعل الله لكم به من النعيم المقيم ما لا يمكن

على الهدى ﴿أعد لهم عذاباً أليماً﴾
[بظلمهم وعدوانهم].

تم تفسير سورة الإنسان،
ولله الحمد والمنة^(٤)

تفسير سورة المرسلات وهي مكية

﴿١- ١٥﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفاً * فالعاصفات عصفاً * والناشرات نشرأ * فالفارقات فرقأ * فالملقيات ذكراً * عذراً أو نذراً * إنما توعدون لواقع * فإذا النجوم طمست * وإذا السماء فرجت * وإذا الجبال نسفت * وإذا الرسل أقتت * لأي: يوم أجلت * ليوم الفصل * وما أدراك ما يوم الفصل * ويل يومئذ للمكذبين﴾ أقسم تعالى على البعث والجزاء بالأعمال^(٥)، بالمرسلات عرفاً، وهي الملائكة التي يرسلها الله تعالى بشئونه القدرية وتدبير العالم، وبشؤونه الشرعية ووحيه إلى رسله.

و ﴿عرفاً﴾ حال من المرسلات أي: أرسلت بالعرف والحكمة والمصلحة، لا بالنكر والعبث.

﴿فالعاصفات عصفاً﴾ وهي [أيضاً] الملائكة التي يرسلها الله تعالى، وصفها بالمبادرة لأمره، وسرعة تنفيذ أوامره، كالريح العاصف، أو: أن العاصفات، الرياح الشديدة، التي يسرع هبوبها، ﴿والناشرات نشرأ﴾ يحتمل أنها الملائكة^(٦)، تنشر ما دبرت على نشره، أو أنها السحاب التي ينشر بها الله الأرض، فيحييها بعد موتها، ﴿فالملقيات ذكراً﴾ هي الملائكة، تلقي أشرف الأوامر، وهو الذكر الذي

﴿٢٨﴾ ثم استدل عليهم وعلى بعثهم بدليل عقلي، وهو دليل الابتداء، فقال: ﴿نحن خلقناهم﴾ أي: أوجدناهم من العدم، ﴿ووجدناهم أسرهم﴾ أي: أحكمنا خلقتهم بالأعصاب، والعروق، والأوتار، والقوى الظاهرة والباطنة، حتى تم الجسم واستكمل، وتمكن من كل ما يريده، فالذي أوجدهم على هذه الحالة، قادر على أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم، والذي نقلهم في هذه الدار إلى هذه الأطوار، لا يليق به أن يتركهم سدى، لا يؤمرون، ولا ينهون، ولا يثابون، ولا يعاقبون، ولهذا قال:

﴿بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾ أي: أنشأناكم للبعث نشأة أخرى، وأعدناكم بأعيانكم، وهم بأنفسهم أمثالهم.

﴿إن هذه تذكرة﴾ أي: يتذكر بها المؤمن، فينتفع بما فيها من التخويف والترغيب.

﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ أي: طريقاً موصلاً إليه، فالله يبين الحق والهدى، ثم ينجي الناس بين الاهتداء بها أو النفور عنها، مع قيام الحجة عليهم^(٧)، ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ فإن مشيئة الله نافذة، ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ فله الحكمة في هداية المهتدي، وإضلال الضال.

﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ فيختصه بعنايته، ويوفقه لأسباب السعادة ويهديه لطرقتها.

﴿والظالمين﴾ الذين اختاروا الشقاء



المكتوبات وما يتبعها من النوافل، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير في هذه الأوقات.

﴿ومن الليل فاسجد له﴾ أي: أكثر [له] من السجود، ولا يكون ذلك إلا بالإكثار من الصلاة^(٨).

﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾ وقد تقدم تقييد هذا المطلق بقوله: ﴿يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً﴾ الآية^(٩): [وقوله] ﴿إن هؤلاء﴾ أي: المكذبين لك أيها الرسول بعدما بينت لهم الآيات، ورجعوا ورجعوا، ومع ذلك، لم يقد فيهم ذلك شيئاً، بل لا يزالون يؤثرون ﴿العاجلة﴾، يطمئنون إليها، ﴿ويصدرون﴾ أي: يتركون العمل ويهملون ﴿وراءهم﴾ أي: أمامهم ﴿يوماً ثقيلاً﴾ وهو يوم القيامة، الذي مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون، وقال تعالى: ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾.

فكانهم ما خلقوا إلا للدنيا والإقامة فيها.

(١) في ب: وذلك متضمنٌ لكثرة الصلاة.

(٢) في ب: أكمل الآيات ﴿نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه﴾.

(٣) في ب: إقامة للحجة ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة.

(٤) في ب: تمت والله الحمد.

(٥) في ب: على الأعمال.

(٦) في ب: يحتمل أن المراد بها الملائكة.